Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 44:2 (2009)

المفاهيم القرآنية في ديوان ''بانگ درا''* لمحمد إقبال

حافظ عبد القدير

ليس من الغريب تأثر أديب بارع بكتاب أو بكاتب، فأثر ملتون[١] على وردزورث[٢] بارز، ويظن كيتس[٣] أن شيكسبير[٤] مرشد موجّه له (Presiding genius)، كما أن ظلال الكوميديا الإلهية

DMHL

---

* "صلصلة الجرس".

١- Milton John الأديب الإنجليزي الشهير الذي يعد من أكبر الأدباء في الأدب الإنجليزي، ولد سنة ١٦٠٨م وتوفي سنة ١٦٧٤م ، نظم الشعر في كل من اللاتينية والإيطالية والإنجليزية، وأبرز أعماله هو: "الفردوس المفقود" (Paradise Lost) للتفصيل انظروا:

The Encyclopedia Americana, U.S.A, Grolier incorporated, International Edition, 1992, Vol No: 19, P: 133-139.

٢- Wordsworth William الشاعر الإنجليزي الشهير الذي ولد في اليوم السابع من شهر إبريل سنة ١٧٧٠م وتوفي في اليوم الثالث والعشرين من شهر إبريل سنة ١٨٥٠م . للتفصيل حول حياته ولأعماله الأدبية انظروا: نفس المرجع، الجزء: ٢٩، ص: ١٧٤-١٧٦.

٣- Keats John الشاعر الإنجليزي الذي ولد سنة ١٧٩٥م وتوفي سنة ١٨٢١م، لقب بلقب "شاعر الشعراء" Poet's poet، لمعرفة أحواله انظروا: نفس المرجع، الجزء:١٦، ص:٣٤٣-٣٤٦.

٤- إنه وليام شكسبير بن جون بن ريتشارد شكسبير، الأديب والمسرحي الشهير الذي ولد في الثالث والعشرين من شهر إبريل سنة ١٥٦٤م، وتوفي في الثالث والعشرين من شهر إبريل – في نفس اليوم الذي ولد فيه- سنة ١٦١٦م. ومن أهم مسرحياته "مأساة كريولينس" (The Tragedy of Coriolanus) و "روميو وجولييت" (Romeo and Juliette) و"أنتوني وكلوباترة" (Anthony and Cleopater) و"العاصفة" (The Tempest) و"ملهاة الأغلاط" (The Comedy of Errors) وغيرها. للتفصيل انظروا: عباس محمود العقاد، **التعريف بشكسبير**، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨م.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

(Divine Comedy) لدانتي[٥] على أعمال ت. س اليوت[٦] من مبتدئها إلى منتهاها ظاهرة بارزة[٧]. وهكذا فإن أثر الإنجيل على الشعراء المسيحيين والأدباء ظاهر ملموس في شكل من الأشكال، كما نرى الأدباء الإسلاميين والشعراء مقتطفين من هدي القرآن والحديث على صاحبه الصلاة والسلام. ولكن التأثر بكتاب أو بكاتب شعوريا هو شيء، وجذبه في أعماق القلب والذات لاشعوريا لهو شيء آخر، فعندما يصير أثر إنسان أو كتاب جزءًا من شخصية رجل على المستوى اللاشعوري، فإنه يكفيه لتغيير أسلوب تفكيره ووجهة نظره، فلا يفكر إلا بتلك الوجهة النظرية، ولا يرى إلا بذلك المنظار، فالمقياس الذي يقيس به الخير والشر لا يتأتى إلا من ذلك المنبع، وإذا كان ذلك الرجل شاعرًا أو أديباً فنظرية أدبه وكلماته وأسلوبه واستعاراته لا تكون إلا مصطبغة بتلك الصبغة ومستعارة منه. فعلاقة العلامة إقبال بالقرآن الكريم لهي علاقة من هذا النوع[٨].

إن إقبال الذي نعده من أكبر دعاة الإسلام، يدعونا إلى الدعوة الإسلامية الهادية للتي هي أقوم، وهو شاعر متأمل متفكر، إنه ليس من زمرة الشعراء الذين ينتجعون كل كلأ، ويهيمون في كل وادٍ، ويغنون على كل غصن، وينظمون في كل موضوع، سواء أوافق ذلك عقيدتهم أم لا، ويمدحون كل شخص، ويظلون إلى آخر حياتهم لا يعرفون أنفسهم ولا يعلمون رسالتهم[٩]، بل هو من أولئك

٥- Dante Alighieri الشاعر الإيطالي الشهير ومؤلف القصيدة الشهيرة: "الكوميديا الإلهية" The Divine Comedy الذي ولد في شهر مايو من سنة ١٢٦٥م، وتوفي في اليوم الثالث عشر أو الرابع عشر من شهر سبتمبر سنة ١٣٢١م. لمعرفة أحواله انظروا:

Stanely J. Kunitz & Yeolby, *European Authors 1000-1900*, New York, The Vineta H.W Wilson Company, 1967, p:210-212.

٦- T.S Eliot الشاعر الإيطالي الأمريكي، وكاتب المسرحيات والناقد الذي ولد في اليوم السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٨٨م، وتوفي سنة ١٩٦٥م ، إنه يعد من أبرز رجالات الأدب الإنجليزي في القرن العشرين. للتفصيل انظروا: *The Encyclopedia Americana*, Vol No: 10, p 240-242.

٧- غلام رسول ملك، "اقبال كا قرآني انداز فكر ونظر"، مقال ضمن كتاب رفيع الدين هاشمي، محمد سهيل عمر، عشرت وحيد، اقباليات كے سو سال (منتخب مضامين)، أكادمي أدبيات باكستان، إسلام آباد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٤١٧.

٨- نفس المرجع ونفس الصفحة.

٩- أبو الحسن علي الندوي، **روائع إقبال**، مجلس نشريات إسلام، كراتشي، باكستان، ط ٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٤٧.

النخبة النادرة من الشعراء الملهمين العظام من أمثال مجد الدين السنائي[١٠] وجلال الدين الرومي[١١] الذين اتخذوا الشعر وسيلة للتعبير عن معانٍ يطرقها أصحاب المعرفة من الحكماء والفلاسفة لا الشعراء[١٢]. والفن الذي ساد شعره وأخذ موضع الفنون الأخرى الشعرية هو الحكمة العالية وما يتصل بها، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الدين الحنيف.

لقد وقف إقبال شعره كله لشرح التعاليم القرآنية والمبادئ الإسلامية، وإيقاظ المسلمين من سباتهم العميق؛ لأن قلبه كان يقطر دما على ما آلت إليه حال مسلمي شبه القارة على وجه الأخص، وحال المسلمين عامة في العصر الراهن من جراء تهافتهم على حطام الدنيا تهافت الفراش على النار، وازورارهم عما أمر به الدين، ووقوفهم على شفا حفرة من الانحطاط، ورزحهم تحت الاحتلال الأجنبي الغاشم الذي كان يغزوهم من كل الجوانب، ويهجم عليهم من كل مكان، والذي غاية قصده أن لا يذر على الأرض من المؤمنين ديارا، وكانوا لا يظنون أنهم أحيط بهم، وقد شمت بهم الأصدقاء قبل الأعداء، فصوّر في شعره عظم ما نزل بهم من المصيبة الفادحة التي لو نزلت بجبل لدكته دكا، ونصحهم في شعره نصيحة تلو نصيحة، عسى أن تهديهم إلى سواء السبيل، فشعره يحوي التوجيه والإرشاد والنصح للأمة الإسلامية جمعاء، ما لو عملت به لخرجت من الظلمات إلى النور.

١٠- الشاعر الصوفي المرموق الذي ولد في غزنة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وتوفي عام ٥٢٦هـ/ ١١٣١م، ويعتبر أول الشعراء المتصوفين الثلاثة العظام ممن كتبوا المثنويات في ايران، وثانيهم فريد الدين العطار، وثالثهم جلال الدين الرومي، وهو من كبار شعراء العهد الغزنوي، نشأ كشاعر غزل ومديح، ولقب بملك الشعراء في البلاط، ثم جذبه التوفيق الإلهي، فعزف عن الدنيا ومدائح الملوك وعكف على الشعر الوجداني ونظم الحقائق والمعارف الإلهية. انظر: نفس المرجع، ص ١٣٧، وبراون: **تاريخ الأدب في ايران من الفردوسي إلى السعدي**، ترجمها: إبراهيم الشواربي، القاهرة، ١٩٥٤م.

١١- من كبار المتصوفة الإسلاميين، ولد ببلخ عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، تلقى دراسته الابتدائية على يد والده، كما قرأ على أيدي علماء عصره، والحادثة التي غيرت مجرى حياته وجعلته يميل إلى التصوف هي لقاؤه مع شمس تبريز، توفي في اليوم الخامس من جمادى الآخرة عام ٦٧٢هـ/ اليوم السابع عشر من ديسمبر عام ١٢٧٣م بقونية، ترك خلفه كتبا كثيرة أهمها: ديوانه **والمثنوي المعنوي** و"فيه ما فيه". للتفصيل انظروا: "جلال الدين الرومي"، مقال ضمن كتاب **مختصر اردو دائره معارف إسلاميه**، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٢٤٤-٢٤٦.

١٢- إنه يقول عن نفسه:

مري نوائے پريشاں كو شاعري نه سمجھ كه ميں هوں محرم راز درون مے خانه

أي: لا تظن ندائي المضطرب شعرا حيث أنني عارف بأسرار خانة الخمر الداخلية.

المبحث الأول: علاقة العلامة إقبال بالقرآن الكريم:

كان رحمه الله دائم الاعتداد بالقرآن، شديد الاعتماد عليه، يعتقد أنه هو قوته وميزته، وذخره وثروته، فمنه اتخذ أسس الحياة والقيم الخلقية والمثل العليا، ومنه استمد المعاني والأفكار، وبشعره دافع عن دينه وجاهد في سبيله، مظهراً مزايا الإسلام مفنداً أراجيف خصومه، وقطع دابر فتنة أعدائه، وكان يراه أفضل الكتب وأعلاها مكانة وأشملها علوما، وخير دليل على ذلك ما دار بينه وبين شخص لقيه، حيث سأله ذلك الملاقي: "يا إقبال! قد طالعت كتبا مختلفة تتناول الدين والاقتصاد والسياسة والتاريخ والفلسفة وغيرها من العلوم، فأيّ كتاب وجدته أرفعها وأسماها مكانة". وكان إقبال جالسا على كرسي، فقام من موضعه، وذهب إلى داخل البيت، وخرج بعد دقيقتين أو ثلاث حاملا في يديه كتابا، فوضع ذلك الكتاب في يد السائل وقال له: "ذلك الكتاب هو القرآن الكريم"(١٣).

ولما دعاه المرحوم نادر خان ملك أفغانستان إلى مدينة كابل، ونزل ضيفا عليه، أهدى إلى الملك نسخة من القرآن الكريم، وقدمها إليه قائلا: "إن هذا الكتاب رأس مال أهل الحق، وفيه نهاية كل بداية، وبقوته كان سيدنا علي كرم الله وجهه فاتح خيبر".(١٤) ويقول الشيخ أحمد إعجاز ـ وهو ابن أخيه ـ إنه لما بدأ حياته العملية في مدينة سيالكوت كمحام بعد انتهائه من الدراسة لقّنه ونصحه إقبال مراراً وتكراراً بتلاوة القرآن وإقامة الصلاة، وفي رسالة من رسائله كتب إليه:

"أداوم على تلاوة القرآن لأنني قد جربت أن لتلاوته فوائد كثيرة"(١٥).

كما أنه قال مرة: "إن هذا العصر هو عصر مطالعة القرآن، وإن المسلمين إن طالعوا القرآن ليشقون لأنفسهم طريقة إصلاحهم، ولينالون تلك الخطوات التي لا بد من اتخاذها في حياتهم"(١٦).

وكل من يتصفح أوراق حياة إقبال يرى أن حبه للقرآن وللنبي عليه الصلاة والسلام لعب دوراً أساسيا في تكوين العناصر الشخصية لإقبال(١٧)، وترك آثارا بالغة وغير دارسة في ذهنه، بل

١٣- فقير سيد وحيد الدين، **روزگار فقير**، آتش فشاں پبليكيشنز، لاهور، باكستان، يناير١٩٨٨م، الجزء الأول، ص٩٢-٩٣.

١٤- أبو الحسن علي الندوي، **روائع إقبال**، ص ٤٤.

١٥- فقير سيد وحيد الدين، **روزگار فقير**، الجزء الثاني، ص ٤٣٣.

١٦- سيد نذير نيازي، إقبال كے حضور، إقبال أكادمي، لاهور، الطبعة الثانية، ١٩٨١م، الجزء الأول، ص ١٣٤.

١٧- غلام مصطفى خان، **إقبال اور قرآن**، إقبال أكادمي، لاهور، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، ص ٦.

استولى عليه استيلاء كاملا[١٨] فكان رحمه الله رغم عيشه جسداً في القرن العشرين يحيا بخياله القوي في زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويتمنى الموت في مدينة حبيبه عليه الصلاة والسلام. وقد كتب مرة إلى أحد أصدقائه:

"أسكن بين ازدحام مدينة لاهور، ولكنني أعيش حياة الانفراد، بعد الفراغ من أشغالي الضرورية إما أتلو القرآن، وإما أتجول في القرون الأولى في عالم الخيال، ولكن فكروا لدقيقة، إن الزمن الذي يكون التفكير والتأني فيه لذيذاً سائغاً إلى هذا الحد كيف يكون ذلك الزمن نفسه".[١٩]

خوشا وه وقت كه يثرب مقام تها اس كا
خوشا وه دور كه ديدار عام تها اس كا"[٢٠]

(يا حبذا ذلك العصر الذي كانت أرض يثرب فيه مقره عليه الصلاة والسلام ويا حبذا تلك الأيام التي كانت زيارته فيها ميسرة للكل).

ولما تلقى نبأ افتتاح مستشفى في الحجاز نَظَم على التو قصيدة تحمل عنوان: "شفاخانه حجاز"، ومما قال فيها:

اوروں كو ديں حضور يه پيغام زندگي
ميں موت ڈھونڈتا هوں زمين حجاز ميں[٢١]

(سيدي يارسول الله! بشّر الآخرين برسالة الحياة، أما أنا فأتمنى الموت في رحاب أرض الحجاز).

فما الينبوع الذي اغترف منه إقبال؟ وما الدافع إلى حبه للقرآن وصاحبه؟ ومن أين أتت هذه الحرقة القلبية التي تبدو في شعره عندما يذكر القرآن؟ من الذي سقاه كأس القرآن الدهاق؟ هذه التساؤلات تجعلنا نبحث عن جذور هذا الحب وذلك العشق في حياته وبعض شعره، فنرى أن جذور

١٨- ضياء الدين أحمد، إقبال كا فن اور فلسفه، إقبال كي شاعري وفلسفه پر ايك نظر، بزم إقبال، لاهور، ديسمبر ٢٠٠١م، ص ٨٥.

١٩- إقبال، **مكاتيب إقبال بنام خان محمد نياز الدين خان مرحوم**، بزم إقبال، لاهور، ص ٧.

٢٠- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٨١. ويجدر بي أن أذكر أن هذا البيت بهذه الكلمات قد أخذته من **كليات إقبال**، بينما كتب إقبال في الرسالة المذكورة كلمة "عهد" في موضع "وقت" في المصراع الأول، وفي المصراع الثاني كتب كلمة "روز" في موضع "دور" انظر: إقبال، **مكاتيب إقبال بنام خان محمد نياز الدين خان مرحوم**، ص ٧.

٢١- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٩٨.

هذا الحب والعشق ممتدة إلى صباه؛ حيث نرى والديه يربيانه صغيراً على مائدة قرآنية، وخاصة والده الذي أفعم قلبه وملأ ذهنه بحب القرآن. يقول إقبال بهذا الصدد:

"كنت معتاداً أثناء دراستي في مدينة سيالكوت على تلاوة القرآن الكريم صباحا، وكان من عادة والدي أنه بعد إنهاء تلك الأوراد التي يواظب عليها يوميا يمر بي ويراني، ويوما من الأيام عندما مرّ من أمامي قال لي وهو يبتسم: "أخبرك عن شيء عندما أجد فرصة". وسألته مرتين أو أكثر عن ذلك الشيء، ولكنه قال لي: "بعدما تنتهي من الامتحان". وعندما فرغت من الامتحان ورجعت من لاهور إلى البيت كررت سؤالي عليه، فقال لي: "بعدما تنجح". وعندما نجحت ووجهت إليه نفس السؤال قال لي: "أخبرك يوما ما". ويوما من الأيام كنت أتلو القرآن كالمعتاد، فدنا مني وانبرى يقول: "يا بني كنت أريد أن أقول: اقرأ القرآن وكأنه نزل عليك، وكأن الله يكلمك تكليما"(٢٢). يقول إقبال: "إن قوله هذا دخل صميم قلبي فملكني وأسرني، ولا أزال أشعر بلذة هذا القول"(٢٣).

وسنرى أن هذا القول لوالده ظل معلقا بذاكرة إقبال طول حياته، وصاغه مرة في صورة هذا البيت الجميل:

ترے ضمير په جب تك نه هو نزول كتاب
گره كشا هے نه رازي نه صاحب كشاف(٢٤)

(لا يستطيع حل عقد ذهنك الرازي(٢٥) ولا صاحب **الكشاف**(٢٦) ما لم ينزل القرآن على ضميرك).

٢٢- سيد نذير نيازي، دانائے **راز**، إقبال أكادمي، لاهور، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، ص ١٧-١٨.

٢٣- غلام مصطفى خان، **إقبال اور قرآن**، ص ٨.

٢٤- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٧٨.

٢٥- هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين، العالم الكبير والمفسر الشهير ومن المتصوفين الإسلاميين الكبار، ولد سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٩م أو٥٤٤هـ في الري، وتوفي سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م، وهو مؤلف كتب كثيرة منها: **أساس التقديس في علم الكلام، لباب الإشارات، المباحث الشرقية، لوامع البينات في الأسماء والصفات، المعالم في أصول الدين ومفاتيح الغيب أو كتاب التفسير الكبير** وغيرها. للتفصيل انظروا: **دائرة المعارف الإسلامية الأردية**، جامعة بنجاب، لاهور، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، الجزء ١٥، ص ١٩٤-٢٠٣.

٢٦- هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، العالم والفقيه ومن أشهر المتكلمين، ولد في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب عام٤٢٧هـ/ اليوم الثامن من مارس ١٠٧٥م في خوارزم، وتوفي في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة عام ٥٣٨هـ/ اليوم الرابع عشر من شهر يونيو سنة ١١٤٤م. ومن أهم كتبه: **الكشاف عن حقائق التنزيل والمفصل ومقدمة الأدب والمستقصى في الأمثال** وغيرها.

هذه كانت البذرة التي بذرت في قلب إقبال، فنمت حتى استوت على سوقها في كلامه(٢٧).

أما الوقعة الثانية فإن الوالد قال لابنه يوما: "أريد أجر ما بذلته من جهد في سبيل دراستك"!! فسأله الابن: وما هو ذاك؟ فقال الوالد: "أخبرك يوما". ومرة أنطقه الله الذي أنطق كل شيء فقال: "خدمة الإسلام أجر جهدي". يقول إقبال: كنت أذهب من لاهور لزيارة والدي، وسألته في يوم من أيام مرضه الأخير: هل وفيت بذلك العهد أم لا؟ فقال الوالد: قد أديت ما كان لزاما عليك"(٢٨).

هذه العادة الحسنة ـ أي عادة تلاوة القرآن الكريم والتدبر في معانيه يوميا ـ التي تعود عليها إقبال منذ صغره لازمته طول حياته، فكان يتلو القرآن كلما وجد فرصة لذلك آناء الليل وآناء النهار، وخاصة في آخر الليل، فكان يقوم فيه ويناجي ربه، ويشكو بثّه وحزنه إليه، ويتزوّد بقراءة كلامه. يقول "علي بخش" ـ الذي لازمه وقام على خدمته أكثر من ثلاثين عاما ـ ملقيا الضوء على عاداته في نظم الشعر:

> "كانت تعتري الدكتور حالة من الاضطراب والقلق عند نظم الشعر، فإن كان جالسا اضطجع، وكنت أضع القلم والأوراق بالقرب من سريره، وفي كثير من الأحيان كانت هذه الحالة تطرأ عليه ما بين الساعة الثانية والنصف والثالثة فجرا، فيبدأ النظم، وعندما يخرج عن هذه الحالة يأمرني أن آتيه بالمصحف، وكان يطلبه مني خلال النهار أكثر من مرة"(٢٩).

وكان رحمه الله يقرأ القرآن بصوت مرتفع منذ صغره، وكان أثره باديا على وجهه، وفي شيخوخته حزن جداً على ضعف صوته؛ لأنه عاق دون تلاوة القرآن الكريم بصوت عالٍ، وفي آخر حياته كانت الكأس قد طفحت وفاضت، فكلما قرأ أحد القرآن أمامه بصوت جميل رق قلبه وفاضت عينه واهتزت مشاعره، وانهمرت الدموع على خديه رقة وتأثراً(٣٠).

٢٧- محمد ظريف قاضي، إقبال قرآن كي روشني ميں، كتاب منزل، لاهور، الطبعة الثالثة، ١٩٥٨م، ص ٨.

٢٨- نفس المرجع، ص ٨-٩.

٢٩- سيد نذير نيازي، دانائے راز، ص ١٤٤-١٤٥.

٣٠- غلام مصطفى خان، **إقبال اور قرآن**، شيخ غلام على ايند سنز، لاهور، الطبعة السادسة، فبراير ١٩٩٠م، ص١٦٨.

وكان يتلو القرآن الكريم بحرقة قلبية خاصة وشغف كبير، يتلو ويبكي حتى تبتل صفحات المصحف، ثم توضع في الشمس لتجف(٣١).

فالقرآن هو الكتاب الذي أكثر إقبال قراءته في حياته، وتلاه أكثر بكثير من الكتب الأخرى، وكل عمل يكرره الإنسان يترسخ في ذهنه، ويسيطر على فكره كل وقت، ويؤثر في عقليته؛ ولذلك عندما بدأ إقبال نظم الشعر والتعبير عن أفكاره صار يتخذ من قصص القرآن ومعانيه مدادا، ويكثر من الإشارة إلى القرآن، ويزيّن أبياته ما شاء الله له أن يزين بآيات القرآن، وكان يعتز باقتباسه منه وأخذه عنه، واستغنائه بنظم ما تضمنه من معانٍ عن نظم شعر يتقلب في القالب المعهود من فنون الشعر، ولا نراه مبالغا حين يدعي أنه لا يعرب في شعره عن شيء سوى القرآن، إنه يقول:

گر دلم آئينهء بے جوهر است ور بحر فم غير قرآں مضمر است

روز محشر خوار ورسوا كن مرا بے نصيب از بوسه پا كن مرا(٣٢)

(إن كان قلبي مرآة غير مصقولة وإن كان مقالي يتضمن غير القرآن فلك أن تؤاخذني ـ سيدي يارسول الله ـ يوم القيامة واحرمني من سعادة تقبيل قدميك المباركتين).

كان إقبال رحمه الله شديد الاعتداد بالقرآن والاهتمام به، ويلقي ضوءاً على ذلك ما رواه هو نفسه قائلا:

"مرة دعاني الدكتور لوكس ـ عميد كلية ايف سي بلاهور(آنذاك) ـ إلى حفلة كليته السنوية، التي تبعتها حفلة شاي، وعندما جلسنا لتناول الشاي أتاني الدكتور لوكس وقال لي: أريد أن أتحدث إليك عن أمر مهم، فلا تغادرنا بعد تناول الشاي مباشرة. وعندما انتهينا من الشاي أتاني الدكتور لوكس، وذهب بي إلى ركن الغرفة وسألني. أخبرني يا أيها الدكتور: هل المفاهيم القرآنية نزلت على رسولك محمد صلى الله عليه وسلم فقط، وبناء على أنه لم يكن يعرف من اللغات سوى اللغة العربية كسا تلك المفاهيم ثياب اللغة العربية، أم نزل القرآن عليه في حروفه وكلماته كما هي؟ فقلت له: لا بل نزل القرآن عليه مع كلماته. فقال

٣١- نفس المرجع ونفس الصفحة. وهذه النسخة التذكارية للقرآن الكريم، التي سالت على أوراقها دموع هذا الشاعر القرآني تسقي قلبه المؤمن العارف بالله لسنوات عديدة، مازالت محفوظة في إحدى المكتبات بلاهور.

٣٢- إقبال، **كليات إقبال الفارسية**، ص ١٦٨.

الدكتور لوكس متحيرا: يا إقبال من الغريب أن رجلا مثقفا مثلك يعتقد ويتيقن أن القرآن أنزل على الرسول مع كلماته!

قلت: "نعم أتيقن ذلك أيها الدكتور! قد استنتجت من الاستلهام الشعري أنه لا يأتيني إلا بأكمله، مفاهيم وكلمات معًا، فلماذا لا ينزل القرآن مع كلماته على النبي عليه الصلاة والسلام"(٣٣).

هذا مثال على اعتناء محمد إقبال بالقرآن وإيمانه به، واعتباره فصل الخطاب الذي يجب العودة إليه في كل أمر من أمور الدنيا أو الدين، وفي رأيه لا يستطيع أحد أن يكون مسلما بدون استمساكه بعروة القرآن الوثقى التي لا انفصام لها. وفي كلماته:

گر تو مي خواهي مسلمان زيستن نيست ممكن جز به قرآن زيستن(٣٤)

(إذا أردت أن تعيش عيش مسلم فلا يمكنك ذلك إلا باعتصامك بحبل القرآن).

أما المسلم فإنه في رأي إقبال:

يه راز كسي كو نهيں معلوم كه مومن

قاري نظر آتا هے حقيقت ميں هے قرآن(٣٥)

(يتراءى للناس أن المؤمن هو قارئ القرآن، لكن السرّ الذي لا يعرفه أحد هو أن المؤمن هو القرآن نفسه).

وهذا الاعتماد وهذه الثقة بالقرآن هما السبب في دعوته المسلمين إلى الطعم من المائدة القرآنية، والتأمل في القرآن وتدبره، والتعبير عن إعجابه بمن جعله إماماً ومرشداً له(٣٦). كما أنه سخط على من اتخذ القرآن مهجوراً واستهان بقيمته، وجعله وسيلة للثواب والبركة لا أكثر، ولا يقرؤه إلا على ميت عند احتضاره ليموت بسهولة، وفي ذلك يقول:

٣٣- فقير سيد وحيد الدين، **روزگار فقير**، ص ٣٩.

٣٤- إقبال، **كليات إقبال الفارسية**، ص ١٢٣.

٣٥- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص٦٠.

٣٦- إنه مدح شرف النساء التي كانت حفيدة حاكم من حكام بنجاب على عهد الإمبراطور المغولي بهادر خان، إنها أقامت في قصر لها منصة كانت تتلو القرآن عليها كل صباح وإلى جانبها سيف. ولم تخل المنصة من المصحف والسيف قط، كما أوصت بدفنها بعد موتها في ذلك الموضع مع مصحفها وسيفها على قبرها. راجع: حسين مجيب المصري، **إقبال والقرآن**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٥٩.

به بند صوفي ومـــلا اسيـــــري حيات از حكمت قرآن نگيري
بآياتش ترا كارے جز ايں نيست كه أز يسين، او آساں بميري(٣٧)

في هذه القطعة الشعرية يخاطب إقبال مسلما ويقول له: قد أسرك الصوفي والشيخ(٣٨) وهما يفسران لك مبادئ الحياة والدين، وكان واجبا عليك أن تأخذ تلك المبادئ من حكمة القرآن، وما ذاك إلا لأنك لا تهتم بآياته الكريمة أكثر من أن تقرأ سورة يس عند احتضارك لتموت بسهولة!

ولا يستطيع أحد أن يقدر شعر إقبال حق قدره إلا إذا وضع القرآن نصب عينيه، وفي هذا الصدد يقول البروفيسور سليم جشتي:

"إن من لم يقرأ القرآن ولم يفهمه لن ينجح في فهم شعر إقبال، لأن القرآن مصدر شعر إقبال وينبوعه ومحوره، فعليكم بقراءة القرآن أولا ثم يأتي التلذذ بشعر إقبال والاستفادة منه"(٣٩).

والذي يلقي نظرة على شعره من هذه الوجهة، يرى أن محمد إقبال لم يكن من أولئك الذين يخرّون على الآيات القرآنية صما وعميانا، لا يعرفون ماذا يقول الله سبحانه وتعالى فيها، ومن يخاطبهم، وماذا يطلب منهم، فالقرآن عندهم ليس إلا كلمات تصدر عن الشفتين، ولا تصدر عن القلب، وكل ما غاب عن القلب سيغيب عن الفم، مثلهم كمثل الببغاء الذي يحفظ بعض الكلمات ويرددها ليل نهار، ولا يعرف ماذا يقول. بل يجد أن محمد إقبال قد قدر له في عصره ـ وما يليه من العصور أيضاً ـ أن يشرح معاني القرآن ومفاهيمه، وأن يزيح الستار عما فيه من الحكم والمواعظ الحسنة، وأن يلقي ضوءاً على تلك القمة التي يوصل القرآنُ الإنسانَ إليها. وكذلك تتضح له كيفية نظم محمد إقبال الحقائق القرآنية ومسائله الدقيقة في أبياته بجمال وسلاسة. لقد اقتبس من القرآن الكريم شيئاً كثيراً، وشرب منه كأسا دهاقا، ونظم من درره ما نظم، فشعره شعر إسلامي خالص قائم على الرسالة الخالدة التي جاء بها النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الفكر القرآني الطاهر. والقرآن عنده رسالة الحياة الخالدة التي لا قيمة بدونها للأمة الإسلامية، إذا تجردت منه كانت قطيعا من غنم، أو صدفا خاليا من اللؤلؤ، ففيه من الحكم والأحكام ما يصلح الدنيا بالدين، وفيه الدعوة إلى التفكير والتدبر، والحثّ

٣٧- إقبال، **كليات إقبال الفارسية**، ص ٩٥٥.

٣٨- استخدم إقبال كلمة "ملا" وهو معلم الصبيان في الفارسية، ويقصد به الشاعر رجل الدين الذي لا يهتم من الدين إلا بالمظهر ويغفل عن الجوهر، وبذلك يقع الخلاف ولا يجمع الناس على رأي.

٣٩- فقير سيد وحيد الدين، **روزگار فقير**، ص ١٨٧.

على السعي والعمل، والزجر عن التواكل والكسل، والأمر بالضرب في مناكب الأرض مشارقها ومغاربها التي بورك فيها[٤٠]. إنه دستور الحياة الذي لم ينزل لفلاحنا في الآخرة فحسب، بل إنه هادينا ومرشدنا في كل ناحية من نواحي حياتنا الدنيوية أيضاً[٤١].

لقد قال ذات مرة:

> "القرآن يمثل فطرة الله، فلقد ظهرت حقائق شتى في العالم، وفي أزمنة مختلفة، حقيقة هنا وحقيقة هناك، وكل حقيقة من فطرة الله، وقد اجتمعت هذه الحقائق المتناثرة في مجموعة اسمها القرآن، وكل حقيقة ستظهر في المستقبل سواء كانت في كلمات "لينين"[٤٢] أو في كلمات "السنوسي"[٤٣] إنما هي تعبير عن آية قرآنية؛ لأن كل الحقائق التي كانت الإنسانية في حاجة إليها قد جمعت بين دفتيه، والآن لا بد من فهم القرآن حسبما نزل إلى هذه الدنيا، فعلى سبيل المثال ولكن من الدهر تلقى زرادشت[٤٤] حقيقة، ثم في زمن آخر تلقى بوذا[٤٥] أخرى، وهكذا... فأمعنوا النظر في هذه الديانات أولا، عندئذ تستطيعون التمييز بين الحقائق والخرافات التي توجد في هذه الديانات ـ مع أن أصحابها يرون تلك الخرافات أيضاً من الحقائق ـ لأنكم لا تجدون حقائقهم في القرآن، ولكن ترونه يعارض خرافاتهم، وهذه الخرافات من صنع الإنسان، وبدون معرفة هذه الخرافات

٤٠- حسين مجيب المصري، "إقبال والقرآن"، مقال ضمن كتاب محمد منور، **أبحاث ذكر إقبال المئوية**، جامعة بنجاب، قسم الإقباليات، لاهور، ١٩٨٢م، ص ٩٧.

٤١- محمد طاهرفاروقي، **إقبال اور محبت رسول**، إقبال أكادمي، لاهور، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م، ص ٩٢-٩٣.

٤٢- Lenin Vladimir Ilyich السياسي الشهير وأول رئيس لروسيا وحامل لواء النظريات الماركسية الذي ولد في اليوم الثاني والعشرين من شهر إبريل عام ١٨٧٠م، وتوفي في اليوم الواحد والعشرين من شهر يناير عام ١٩٢٤م. للتفصيل انظروا: أردو جامع انسائيكلوپيڈيا، شيخ غلام علي ايند سنز، لاهور، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، الجزء الثاني، ص ١٣٦٢-١٣٦٣.

٤٣- أسرة المتصوفين المجاهدين في الإفريقيا الشمالية، ومؤسسها السيد محمد بن علي الإدريسي (١٧٨٧م-١٨٥٩م) والسنوسيون جاهدوا جهاداً مستمراً لتحرير ليبيا، ترك السيد محمد بن علي الإدريسي آثارا خالدة في التصوف وعلم الكلام، للتفصيل انظروا: نفس المرجع، الجزء الأول، ص:٧٨٩.

٤٤- Zoroaster مؤسس الديانة الزردشتية، لمعرفة أحواله انظر: نفس المرجع، ص ٧٠٦.

٤٥- مهاتما غوتم بدهـ، مؤسس ديانة "بدهـ مت" لمعرفة أحواله انظر: نفس المرجع، ص ٢٢٢.

لا يمكن الوصول إلى ذلك الشيء الذي يعارضه القرآن، فعلى سبيل المثال نرى في القرآن الكريم هذه الآية المباركة:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾(٤٦).

فمن معتقدات الهنادكة أن مثل هذا العالم كمثل دمية خلقها الإله "ايشور" وهو يلعب، وفوق هذا فإن أحد آلهتهم يدعى "نتراجن" وتعني ملك اللاعبين، ويظهر من تمثاله أنه منهمك في اللهو واللعب، وفي نفس الوقت يقوم بخلق العالم، والقرآن الكريم يعارض هذه الخرافة في كلمة "لاعبين". ومثال آخر: فنحن نقرأ في القرآن ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾(٤٧) ومن معتقدات الهنادكة أن هذا العالم مجرد حلم "برماتما" (الروح العظيمة) وعندما تفيق من النوم يضطرب هذا الحلم، وهذا الاعتقاد يوجد عند بعض المتصوفين الإسلاميين كذلك، فعارض القرآن هذه الخرافة في الآية المذكورة، ولا بد من الاطلاع على مثل هذه الخرافات لفهم القرآن، إن الحقائق الخالصة ليس لها الآن مصدر سوى القرآن"(٤٨).

المبحث الثاني: تضمين عبارات القرآن في شعر إقبال:

ينظر محمد إقبال رحمه الله إلى القرآن في شعره على نحوين: أما أولهما فباعتباره مرجعا لكل مسلم وعمدته في كل أمر من أمور دنياه وأخراه، والثاني: ترديد آيات منه في أبياته أو الإشارة من بعيد إلى مضمون قصصه ومكنون معانيه(٤٩).

فلا شك في أن كل من يلقي نظرة عميقة على دواوين إقبال يراه يغوص في بحر القرآن، ويطير في أجوائه، ويجوب في آفاقه، فيراه يشرح مفاهيم قرآنية في شعره، فدواوينه ذاخرة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال العربية وتراكيب اللغة العربية وكلماتها والتلميحات العربية(٥٠)،

٤٦- سورة الأنبياء، الآية: ١٦.

٤٧- سور البقرة، الآية: ٢٥٥.

٤٨- پرويز، **إقبال اور قرآن**، ص ١٠١-١٠٢. وقد ذكر سيد نذير نيازي هذا الكلام لإقبال بشيء من التفصيل في كتابه: إقبال كے حضور، الجزء الأول، ص ٥٧-٦٠.

٤٩- حسين مجيب المصري، "إقبال والقرآن"، مقال ضمن كتاب: محمد منور، **أبحاث ذكر إقبال المئوية**، ص ٩٦.

٥٠- سيد نذير نيازي، دانائے راز، ص ١٨.

إنه يأخذ مفاهيم هذه الآيات القرآنية ومعانيها في مواضع، كما يورد عبارات صريحة منه في مواضع أخرى، وقد تطول العبارة فيورد جزءاً من آية، أو الآية بأكملها(٥١)، كما تقصر فلا يتسع البيت من شعره إلا لكلمة واحدة منها. وفي بعض الأحيان يجمع بين تضمين معنى أو عبارة من القرآن وأخرى من الحديث في البيت الواحد.

أما جمع هذه الأبيات كلها فهو عمل كبير شاق، ولا يتسع له إلا كتاب ضخم، وهذا المقال الصغير لا يستطيع الإحاطة بهذا الموضوع من كل نواحيه، ولكن... إن لم يكن وابل فطل، فحاولت عرض بعض الشواهد وإيراد طائفة من أبيات ديوانه: **بانگ درا** (صلصلة الجرس) في السطور التالية(٥٢)، وقد اخترت هذا الديوان لكونه باكورة أعماله، حيث إن معظم قصائده يرجع إلى زمن دراسة إقبال، وهذا ما قاله عنه إقبال: "إن معظم قصائد هذا الديوان يرجع إلى زمن دراستي"(٥٣). والشاعر الذي كانت هذه حالته في صباه فكيف يكون في شبابه بعد نضوجه ذهنا وفكرا. إنه يقول في قصيدته: "(الحوار بين) جبل وسنجاب"

نهيں هے چيز نكمي كوئي زمانے ميں
كوئي برا نهيں قدرت كے كارخانے ميں(٥٤)

(لا شيء عديم النفع في الكون كما لم يُخلق شيء عبثا في مصنع الفطرة).

وفي هذا البيت إشارة إلى الآيتين التاليتين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾(٥٥) ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾(٥٦).

ويقول في قصيدة: "خفتگان خاك سے استفسار" (سؤال للنائمين في التراب)

ديد سے تسكين پاتا هے دل مهجور بهي
"لن تراني" كه رهے هيں يا وهاں كے ذور بهي؟(٥٧)

٥١- كما فعل في هذا البيت: اقوام عالم يه نظاره ابد تك ديكهے رفعت شان "رفعنا لك ذكرك" ديكهے.

٥٢- كرر إقبال مفاهيم بعض الآيات القرآنية في أبيات كثيرة، ولكنني اكتفيت بذكر بيت من تلك الأبيات كنموذج وتركت الباقية خوفا من الإطالة والسأم للقارئ.

٥٣- شيخ عطاء الله، **إقبال نامه، مجموعة مكاتيب إقبال**، شيخ محمد أشرف تاجر كتب، لاهور، الجزء الأول، ص ٢٩٩.

٥٤- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٣٧.

٥٥- سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

٥٦- سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

٥٧- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٤٩.

(إن القلب المهجور لا يجد راحة بدون رؤية (وجه الحبيب)، إلا أن الجبال[٥٨] هنا وهناك تقول: "لن تراني")[٥٩].

وقد نظم الشاعر هذا البيت وفي ذهنه هذه الآية المباركة: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٦٠].

وفي قصيدته "إنسان اور بزم قدرت" (الإنسان ومجلس الفطرة) يقول إقبال:

گل وگلزار ترے خلد کي تصويريں هيں
يه سبهي "سورهء والشمس" کي تفسيريں هيں[٦١]

(إن هذه الأزهار والورد وبساتينها ليست إلا صور الخلد (الجنة)، وهي في حقيقة الأمر شروح وتفاسير للسورة القرآنية المسماة بـ"والشمس").

ففي المصراع الثاني لهذا البيت أشار الشاعر إلى سورة "والشمس" التي عدد بها الله سبحانه وتعالى بعض النعم التي أنعم بها على الإنسان.

وفي نفس القصيدة يقول إقبال:

ميرے بگڑے هوے کاموں کو بنايا تو نے
بار جو مجھ سے نه اٹھا، وه اٹھايا تو نے[٦٢]

٥٨- إن الشاعر استخدم كلمة "الطور" للجبال للإشارة إلى ما جرى مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فوق جبل الطور.

٥٩- يقصد الشاعر أن العاشق الحقيقي لا يستطيع أن يحيى بدون رؤية وجه الله سبحانه وتعالى وكلما يزداد هجرا يزداد حزنا وتشوقا إلى رؤيته، وكما قال بشار بن برد الشاعر العباسي الشهير:

وما ضر يوم بداء الهوى محبا إذا ما شفاه الغد
سوى شوق عيني إلى وجهها وإني إن فارقت أكمد

إلا أن العاشق الحقيقي الولهان تختلف حاله تماما عن حال حبيب يحب حبيبته، لأن هذا الحبيب لو لم ينجح اليوم فيما يقصده فلا بأس، سوف يكون له موعد، يلتقي حبيبته بعد بضعة أيام، بينما لا يستطيع هذا العاشق الحقيقي رؤية وجهه، وهو يدرك هذه الحقيقة أن جبل الطور يصرخ حتى الآن بأعلى صوته ويدوي هذا النداء فيه :"لن تراني".

٦٠- سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

٦١- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٥٤.

٦٢- نفس المرجع، ص ٥٥.

(بينما كنت أشكو إذ سمعت هاتفا من السماء أو من صحن الأرض يقول لي: إنك أصلحت أموري الفاسدة، وحملت ذلك الثقل الذي لم أستطع حمله).

فالمصراع الثاني لهذا البيت يشير إلى الآية القرآنية التالية: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(٦٣).

وفي قصيدة "رخصت اے بزم جهاں" (الوداع يا محفل العالم) يقول:

مدتوں ڈھونڈا کیا نظارہء گل خار میں
آہ! وہ یوسف نہ ہاتھ آیا ترے بازار میں(٦٤)

(قد بُحث عن منظر الزهور في الأشواك لمدة طويلة، ولكن للأسف لم تعثر الأيدي في سوقك على يوسف).

وفيه إشارة إلى قصة بيع يوسف عليه السلام في سوق، وقد قصّ الله سبحانه وتعالى علينا هذه القصة في بداية سورة يوسف فقال جل وعلا: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾(٦٥).

وفي قصيدة "تصوير درد" (صورة الألم) يقول الشاعر:

کنویں میں تو نے یوسف کو جو دیکھا بھی تو کیا دیکھا
ارے غافل! جو مطلق تھا مقید کردیا تو نے(٦٦)

(ما رأيت يوسف إذ رأيته في الجب، إنك يا أيها المغفل قد جعلتَ مقيداً من كان مطلقا).

وفي هذا البيت إشارة إلى الآية المباركة التالية: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ... ﴾(٦٧) ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(٦٨).

٦٣- سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

٦٤- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٦٤.

٦٥- سورة يوسف، الآية: ٢٠.

٦٦- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٧٤.

٦٧- سورة يوسف، الآية: ١٥.

٦٨- سورة يوسف، الآية: ١٩.

ولا يكون خاليا من الفائدة أن نذكر هنا أن قصد إقبال من عرض مثل هذه القصص القرآنية في شعره لم يكن إلا الاعتبار بها؛ لأن هذه القصص تحمل في طياتها عبراً ما بعدها عبر، إنه يستمد منها ما يدعم دعواه بالقاطع من دليلها، في دعوته المسلمين إلى رعاية حق كتاب الله وأداء أمانته بتدبر ما فيه والعمل به، رجاء أن تستقيم أمورهم من عوج، ويستردوا ما ضاع من خيرهم بتباعدهم عنه في حياتهم(٦٩).

وفي قصيدة "چاند" (القمر) يقول:

مهر كا پرتو ترے حق ميں هے پيغام أجل
محو كر ديتا هے مجھ كو جلوه حسن أزل(٧٠)

(إن انعكاس القمر لرسالة الأجل في حقك، كما أتلاشى في جلاء الحسن الأزلي.)

ويبدو بوضوح أن الشاعر أخذ هذا المفهوم من الآية التالية: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾(٧١).

وفي قصيدته "سرگزشت آدم" (قصة آدم) يقول الشاعر:

سنے كوئي مري غربت كي داستاں مجھ سے
بھلايا قصهء پيمان أوليں ميں نے(٧٢)

(هل يسمع أحد مني حكاية غربتي(٧٣)، أنا الذي قد نسي قصة الميثاق الأول (أي ذلك الميثاق الذي أخذه الله من أرواح بني آدم وسألها: ألست بربكم؟ قالت: بلى شهدنا)(٧٤).

وفي نفس القصيدة يقول:

نكالا كعبے سے پتھروں كي مورتوں كو كبھي
كبھي بتوں كو بنايا حرم نشيں ميں نے(٧٥)

٦٩- حسين مجيب المصري، **إقبال والقرآن**، ص ٢٢١.

٧٠- إقبال: **كليات إقبال الأردية**، ص ٧٩.

٧١- سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

٧٢- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص٨١.

٧٣- إن كلمة "غربت" بالتاء الطويلة تستخدم بالأردية في معنى الفقر .

٧٤- أي ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ . سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

٧٥- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٨٢.

(أحياناً أخرجتُ الأصنام الحجرية من الكعبة، وأحياناً بوّأت الأوثان مكاناً داخل الحرم).

ففي هذا البيت يستشهد إقبال بقوله تعالى في سورة النجم: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾(٧٦).

وفي القصيدة نفسها يقول:

كبهي ميں ذوق تكلم ميں طور پر پهنچا
چهپايا نور أزل زير آستيں ميں نے(٧٧)

(أحياناً لأجل تشوقي للتكلم مع الله وصلت إلى جبل الطور، وأخفيت النور الأزلي تحت أرداني).

إن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام كان يقصد جبل الطور للكلام مع ربه، كما أنه لما دخل على فرعون ودعاه إلى الله سبحانه وتعالى طلب منه معجزة من معجزاته، فأخرج يده من كمه مضيئة ذات شعاع، فأوقع الحيرة في نفس فرعون وملأه، وهذا ما ذكره الله سبحانه في مواضع مختلفة من القرآن منها: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾(٧٨) و ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾(٧٩) و ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾(٨٠).

وفي القصيدة نفسها يقول:

كبهي صليب په اپنوں نے مجھ كو لٹكايا
كيا فلك كو سفر، چهوڑ كر زميں ميں نے(٨١)

(وأحياناً يصلبني أصدقائي، فأسافر إلى الأفلاك تاركا الأرض).

وفي هذا البيت توظيف لمعنى الصلب المسيحي، والذي أورده القرآن نافياً له، وفيه أيضاً إشارة إلى رفع سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام نحو السماء، حاول أعداؤه أن يصلبوه، ولما كانوا قاب قوسين أو أدنى من القبض عليه رفعه الله إليه، كما غُيِّر وجه أول من دخل بيته لتلك الغاية الذميمة، وأعطي شكل عيسى، فقبضوا عليه ـ وهم يختلفون فيه ـ وصلبوه. والشاعر يشير في هذا

٧٦- سورة النجم، الآيتان: ١٩-٢٠.

٧٧- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٨٢.

٧٨- سورة النساء، الآية: ١٦٤.

٧٩- سورة طه، الآية: ٢٢.

٨٠- سورة الأعراف، الآية:١٠٨، سورة الشعراء، الآية: ٣٣.

٨١- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٨٢.

البيت إلى ما جاء في سورة النساء من قوله جل وعلا: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٨٢).

وفي نفس القصيدة يقول:

كبهي ميں غار ميں چهپا رها برسوں
ديا جهاں كو كبهي جام آخريں ميں نے(٨٣)

(وأحيانا لم أزل مختفيا داخل الغار سنوات طوالا، وأحياناً أسقى العالم الجام الأزلي).

وفي هذا البيت إشارة إلى تعبد النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء قبل مبعثه؛ فقد كان عليه الصلاة والسلام يقضي أياما ولياليَ في غار حراء يعبد الله. ففي المصراع الأول من البيت أشار الشاعر إلى ذلك، كما أشار في المصراع الثاني من البيت إلى ختم النبوة به صلى الله عليه وسلم، وقد جاء ذكر هذا المعنى في سورة الأحزاب حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾(٨٤).

وفي "غزليات" (القصائد الغزلية) يقول:

وهيں سے رات كو ظلمت ملي هے
چمك تارے نے پائى هے جهاں سے(٨٥)

(إن خالق الليلة والنجم واحد، وهو مصدر وحيد للظلام والضياء فمنه حصلت الليلة على سوادها، كما حصل النجم على ضيائه).

وهذا البيت يشير إلى هذه الآية المباركة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٨٦).

وتحت العنوان نفسه يقول:

ذرا سا تو دل هوں مگر شوخ اتنا
وهي "لن تراني" سننا چاهتا هوں(٨٧)

٨٢- سورة النساء، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨.
٨٣- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٨٢.
٨٤- سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.
٨٥- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٩٩.
٨٦- سورة الأنعام، الآية: ٩٧.
٨٧- إقبال ، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٠٥.

(لست إلا قلبا صغيرا، ولكنني على الرغم من ذلك جريء جداً، وقد وصلت جرأتي إلى هذا الحد حيث أريد سماع كلمة "لن تراني" من جديد).

وهذه الكلمة ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ مقتبسة من تلك الآية القرآنية التي نرى بها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهو على جبل الطور، طالباً رؤية ربه، فيرد عليه بأنك لن تستطيع أن تتحمل رؤيتي(٨٨).

وتحت العنوان نفسه يقول:

جنهيں ميں ڈھونڈتا تها آسمانوں ميں زمينوں ميں
وه نكلے ميرے ظلمت خانهء دل كے مكينوں ميں(٨٩)

(إن الذي كنت أبحث عنه في الأرض والسماء وجدته أخيراً داخل سويداء قلبي).

وفي هذا البيت إشارة محتملة إلى هذه الآية المباركة: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٩٠).

وتحت العنوان نفسه يقول:

سخن ميں سوز الهي كهاں سے آتا هے
يه چيز وه هے كه پتهر كو بهي گداز كرے(٩١)

(يا إلهي! من أين تأتي الحرقة في الكلام، الحرقة التي تلين بها الأحجار أيضاً).

وفيه إشارة إلى معنى هذه الآية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٩٢).

وتحت العنوان نفسه يقول:

سختياں كرتا هوں دل پر، غير سے غافل هوں ميں
هائے كيا اچهي كهي ظالم هوں ميں، جاهل هوں ميں(٩٣)

(أقسو على نفسي وأنا غافل عن غيري، وما أحسن ما قيل عني بأنني جهول ظلوم).

٨٨- سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

٨٩- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٠٣.

٩٠- سورة ق، الآية: ١٦.

٩١- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٠٦.

٩٢- سورة الأنفال، الآية: ٢.

٩٣- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٠٦.

فالمصراع الثاني لهذا البيت هو ترجمة لجزء من المعنى الذي ورد في هذه الآية القرآنية: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(٩٤).

وتحت العنوان نفسه يقول:

ميں جبهي تك تها كه تيري جلوه پيرائي نه تهي
جو نمود حق سے مٹ جاتا هے وه باطل هوں ميں(٩٥)

(إن بقائي رهين ظهورك، لأنني ذلك الباطل الذي يزهق حين يظهر الحق).

ولا يخفى أن مثل هذا البيت لا يستطيع أن ينظمه إلا من كان عارفا بهذه الآية المباركة: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(٩٦).

ويقول في قصيدته: "سوامي رام تيرتهـ"(٩٧).

توڑ ديتا هے بت هستي كو إبراهيم عشق
هوش كا دارو هے گويا مستيء تسنيم عشق(٩٨)

(إن إبراهيم إمام العشّاق يكسر صنم الوجود، وكأن سكر تسنيم العشق هو دواء الرشد).

وفي هذا البيت أشار الشاعر إلى وقعة تهديم سيدنا إبراهيم الأوثان التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات المباركة: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾(٩٩).

٩٤- سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

٩٥- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٠٧.

٩٦- سورة الإسراء، الآية: ٨١.

٩٧- كان من أصدقائه الهندوس، وفي سنه كذلك، ولد في قرية قريبة من مدينة غوجرانواله، وتلقى تعليمه أولا في مسقط رأسه ثم في لاهور، وعمل في بداية الأمر في مدينة سيالكوت، وفي سنة ١٩٠٣م سافر إلى اليابان ثم إلى أمريكا، ورجع إلى مسقط رأسه عام ١٩٠٦م، واتخذ لنفسه مسكنا في غار بالقرب من نهر "غنغا" الشهير، وفي يوم من الأيام بينما كان مستلقيا على شاطئ النهر جاءه الموج من كل مكان فغرق، وعثر الناس على جسده بعد ثلاثة أيام، كان سوامي حافظا لأشعار المتصوفة في كل من الأردية والهندية والفارسية والبنجابية والسنسكرتية، فلما تلقى إقبال نبأ وفاته نظم في ذكراه قصيدة تحمل اسمه. للتفصيل انظروا: سيد نذير نيازي، دانائے راز، ص ١٨٨-١٨٩.

٩٨- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١١٤.

٩٩- سورة الصافات، الآيات: ٨٨-٩٣.

وفي "غزليات" يقول:

صدائے "لن تراني" سن کے اے اقبال میں چپ ہوں
تقاضوں کي کہاں طاقت ہے مجھ فرقت کے مارے میں(١٠٠)

(أنا صامت يا إقبال بعد أن سمعت صوت "لن تراني"، وأنا قتيل الفراق لا أقدر على أن ألبي شيئاً).

إن مفهوم هذا البيت قد أخذ من الآية : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ .... ﴾(١٠١).

وفي "غزليات" كذلك يقول:

خصوصيت نہیں کچھ اس میں اے کلیم! تري
شجر، حجر بھي خدا سے کلام کرتے ہیں(١٠٢)

(في هذا البيت يخاطب الشاعر سيدنا موسى ويقول له: إن كلامك مع الله سبحانه وتعالى أيها الكليم لا يخصك فقط، إن الأشجار والأحجار تتكلم مع ربها أيضاً).

وهذا البيت يشير بلطف تام إلى هذه الآية المباركة: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾(١٠٣).

وفي قصيدته "ستاره" (النجم) يقول إقبال:

سکوں محال ہے قدرت کے کارخانے میں
ثبات ایك تغیر کو ہے زمانے میں! (١٠٤)

(إن السكون محال في مصنع الفطرة ولا يثبت إلا التغير في الزمن).

وفيه إشارة إلى هذه الآية المباركة: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾(١٠٥).

١٠٠- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٣٨.

١٠١- سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

١٠٢- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٣٩.

١٠٣- سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

١٠٤- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٤٨.

١٠٥- سورة النور، الآية: ١٤٤.

إنه يقول في قصيدته "ترانهء ملي" (النشيد الوطني):

دنيا كے بتكدوں ميں پهلا وه گهر خدا كا
هم أس كے پاسباں هيں، وه پاسباں همارا[١٠٦]

(إن بيت الله الشريف أول بيت بين المعابد العالمية، نحن نحرسه وهو يحرسنا).

وهو يتضمن إشارة إلى هذه الآية المباركة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[١٠٧].

وفي قصيدته "شكوى" يقول الشاعر الكبير:

كس كى هيبت سے صنم سهمے هوے رهتے تهے
منه كے بل گر كے هو الله أحد كهتے تهے[١٠٨]

(من الذي يصيب الأصنام الذُّعر خوفا منه، وتخر على الأذقان قائلة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾).

إن الشاعر في المصراع الثاني من هذا البيت قد اقتبس من الآية القرآنية: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[١٠٩] واستعمل الآية في بيته بمراعاة وزن الشعر.

وفي القصيدة نفسها يقول:

سر فاران په كيا دين كو كامل تو نے
اك اشارے ميں هزاروں كے ليے دل تو نے[١١٠]

(وعلى رأس "فاران" أكملت دينك واستهويت قلوب ألوف من الناس بإشارة واحدة).

وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١١١].

وفي قصيدته: "شمع اور شاعر" (الشمعة والشاعر) يقول:

بيخبر! تو جوهر آئينهء أيام هے
تو زمانے ميں خدا كا آخري پيغام هے![١١٢]

١٠٦- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٥٩.

١٠٧- سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

١٠٨- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٦٥.

١٠٩- سورة الإخلاص، الآية: ١.

١١٠- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٦٨.

١١١- سورة المائدة، الآية: ٣.

١١٢- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٩٢.

(أيها الغافل (أي الانسان)! أنت جوهر مرآة الأيام، وأنت رسالة الله الأخيرة في الزمن).

إن الشاعر في المصراع الثاني للبيت يشير إلى الآية المباركة التالية: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(١١٣).

وفي "جواب الشكوى" يقول:

كچھ جو سمجھا مرے شكوے كو تو رضوان سمجھا
مجھے جنت سے نكالا هوا انسان سمجھا! (١١٤)

(لم يدرك شكواي سوى رضوان (حارس باب الجنة) وعرف أنني لست إلا (من سلالة) ذلك الإنسان الذي أخرج من الجنة).

وقد جاء ذكر خروج آدم عليه الصلاة والسلام في سور قرآنية مختلفة(١١٥).

وفي نفس القصيدة يقول:

اس قدر شوخ كه الله سے بهي برهم هے
تها جو مسجود ملائك يه وهي آدم هے(١١٦)

(إنه بلغ من وقاحته في الدلال إلى أن صار غاضبا على الله، فهل هذا هو آدم الذي سجدت له الملائكة؟)

فكلمة "مسجود ملائك" في المصراع الثاني من هذا البيت هو مفاد هذه الآية المباركة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ... ﴾(١١٧).

وفي نفس القصيدة يقول إقبال:

هم تو مائل به كرم هيں كوئي سائل هي نهيں
راه دكهلائيں كسے؟ رهرو منزل هي نهيں(١١٨)

(أما نحن فنميل إلى اللطف والعناية ولكن لا أحد يطلبه، ومن الذي نهديه إلى سواء السبيل ولا أحد يسلكه).

١١٣- سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

١١٤- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٩٩.

١١٥- سورة البقرة، الآيات: ٣٦-٣٨، سورة طه، الآيات: ١١٥-١٢٢.

١١٦- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ١٩٩.

١١٧- سورة البقرة، الآية: ٣٤، سورة الإسراء، الآية: ٥٠، سورة طه، الآية: ١١٦.

١١٨- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٠٠.

فالمصراع الثاني يدل على هذه الآية: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾(١١٩).

وفي نفس القصيدة يقول إقبال:

بت شكن أٹھ گئے، باقي جو رهے بت گر هيں
تها براهيم پدر، اور پسر آزر هيں(١٢٠)

(إن محطمي الأوثان ذهبوا ولم يبق من سلالتهم إلا عبادها أوصانعوها، كان إبراهيم أباهم ولكن أبناءه أصبحوا أمثال آزر)(١٢١).

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ما دار بينه وبين أبيه آزر من حوار في سور قرآنية مختلفة(١٢٢).

وفي نفس القصيدة يقول إقبال:

وه زمانے ميں معزز تهے مسلماں هو كر
اور تم خوار هوے تارك قرآں هوكر(١٢٣)

(كانوا (سلفنا) أصحاب العز والجاه في سالف الدهر بسبب كونهم مسلمين حقا، وأنتم وقعتم في قعر الذل بسبب اتخاذكم القرآن مهجورا).

والمصراع الأول من هذا البيت هو تفسير هذه الآية القرآنية: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١٢٤). كما أن مفهوم المصراع الثاني للبيت قد أخذه الشاعر من هذه الآية القرآنية: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾(١٢٥).

وفي نفس القصيدة يقول إقبال:

آج بهي هو جو براهيم كا ايماں پيدا
آگ كرسكتي هے انداز گلستاں پيدا(١٢٦)

١١٩- سورة الرعد، الآية: ٢٧.

١٢٠- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٠٠.

١٢١- آزر: اسم والد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي كان ينحت الأصنام حرفة.

١٢٢- مثل: سورة الأنعام، الآية:٧٤، سورة مريم، الآيات: ٤١-٤٨ وغيرها.

١٢٣- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٠٤.

١٢٤- سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

١٢٥- سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

١٢٦- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٠٥.

(لو أصبح اليوم إيماننا مثل إيمان إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأمكن أن تتحول النار إلى طابع الحديقة).

إن إبراهيم عندما عاب على قومه ما رأى من عبادتهم للأوثان، هدده أبوه بالرجم كما اتخذ له النمرود ناراً ألقاه فيها، إلا أن الله نصر نبيه وجعلها عليه برداً وسلاماً فنجا من كيده، كما أخذ الطاغية بكفره فكان من الهالكين. وإلى ذلك تشير هذه الآية المباركة: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾(١٢٧).

وفي نفس القصيدة يقول إقبال:

چشم اقوام يه نظاره أبد تك ديكهے
رفعت شان "رفعنا لك ذكرك" ديكهے(١٢٨)

(لتنظر عين الأمم إلى الأبد منظر علو شأن النبي عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾(١٢٩).

إن الشاعر في المصراع الثاني من هذا البيت قد أخذ الآية القرآنية: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ كما هي وجعلها جزءاً منه، ضابطا وزن الشعر أيضاً.

وفي قصيدته: "مذهب" (الدين) يقول الشاعر:

اپني ملت پر قياس اقوام مغرب سے نه كر
خاص هے تركيب ميں قوم رسول هاشمي
ان كي جمعيت كا هے ملك ونسب پر انحصار
قوت مذهب سے مستحكم هے جمعيت تري(١٣٠)

(لا تقس الأمم الغربية على ملتك، إن أمة الرسول الهاشمي لها ميزة خاصة من ناحية التركيب، جمعيتهم تعتمد على الوطن أو النسب، أما جمعيتك (جمعية أمة الرسول الهاشمي) فهي تستمد قوتها من الدين).

كان إقبال رحمه الله يكره من المسلمين قولهم إنهم منتسبون إلى جنس خاص أو وطن خاص، كان يرى أن نظرية القومية غير إسلامية، غزا بها الأجنبي الغاصب أفكار المسلمين لتفريق كلمتهم

١٢٧- سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

١٢٨- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٠٧.

١٢٩- سورة الشرح، الآية: ٢.

١٣٠- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٤٨.

وصدع وحدتهم[١٣١] وقد أخذ إقبال هذه الفلسفة من هاتين الآيتين المباركتين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[١٣٢] و﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾[١٣٣].

وفي قصيدته: "پیوسته ره شجر سے امید بہار رکھ" (كن مرتبطا بالشجر وأمل الربيع) يقول:

ملت کے ساتھ رابطہء استوار رکھ
پیوستہ رہ شجر سے اُمید بہار رکھ! [١٣٤]

(اجعل صلتك بالأمة وثيقة قوية، وكن مرتبطا بالشجر وبأمل الربيع).

وهذا البيت ليس إلا تفسيرا شعريا لهذه الآية القرآنية: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[١٣٥].

وفي قصيدته: "همايوں" (اسم أحد أصدقائه) يقول إقبال:

موت کو سمجھے ہیں غافل اختتام زندگی
ہے یہ شام زندگی، صبح دوام زندگی[١٣٦]

(إن الغافل يرى الموت نهاية للحياة ولكنه ليس في حقيقته إلا مساءً لهذه الحياة، وهذا المساء ليس إلا صبح الحياة الخالدة) [١٣٧].

وفي قصيدته: خضر راه" (دليل الطريق) يقول:

آگ ہے، اولاد ابراہیم ہے، نمرود ہے
کیا کسی کو پھر کسی کا امتحان مقصود ہے؟[١٣٨]

(هناك نار و ولد إبراهيم ونمرود من جديد، فهل يريد أحد أن يمتحن أحدا؟)

١٣١- حسين مجيب المصري، **إقبال والقرآن**، ص ١٨٦.

١٣٢- سورة الحجرات، الآية: ١٣.

١٣٣- سورة الحجرات، الآية: ١٠.

١٣٤- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٤٩.

١٣٥- سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

١٣٦- إقبال، **كليات إقبال الأردية** ، ص ٢٥٤.

١٣٧- إن الآيات القرآنية التي تحمل ذكر الحياة الأخروية والحياة بعد الموت كثيرة جدا.

١٣٨- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص:٢٥٧.

وهذا المفهوم بإيحاء من وقعة إلقاء نمرود سيدنا إبراهيم في النار، وقد جاء ذكرها في كثير من سور قرآنية(١٣٩).

وفي قصيدته : "جواب خضر" يقول:

آ بتاؤں تجھ کو رمز آیہء إن الملوك
سلطنت أقوام غالب کي ھے اك جادوگري(١٤٠)

(تعال أخبرك عن سر آية "إن الملوك"! إن السلطة ليست إلا سحرا تمارسه الأمم القاهرة).

وكلمة "إن الملوك" مقتبسة من آية: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾(١٤١).

وفي نفس القصيدة يقول إقبال:

خون اسرائيل آجاتا ھے آخر جوش میں
توڑ دیتا ھے کوئي موسی طلسم سامري(١٤٢)

(يثور دم إسرائيل في النهاية فيأتي أحد مثل موسى وينقض طلسم السامري).

ومفهوم هذا البيت مستفاد من قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام والسامري والسحرة الآخرين وقد جعل سيدنا موسى سحر هؤلاء باطلا، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الوقعة في سور قرآنية مختلفة(١٤٣).

وتحت عنوان "غزليات" (القصائد الغزلية) يقول إقبال:

بے خطر کود پڑا آتش نمرود میں عشق
عقل ھے محو تماشائے لب بام ابھي(١٤٤)

(قفز العشق في نار نمرود بلا خوف وتردد، أما العقل فقد ظل واقفا بعيدا يطل عليها من أعلى السطح).

١٣٩- منها: سورة الأنبياء، الآيتان:٦٨-٦٩، وسورة الصافات، الآيتان:٩٧-٩٨.

١٤٠- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٦٠.

١٤١- سورة النمل، الآية: ٣٤.

١٤٢- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٦١.

١٤٣- منها: سورة طه، الآيات: ٦٣-٧٤ و ٨٥-٩٧ وسورة الأعراف، الآيات: ١٠٩-١٢٦ وسورة يونس، الآيات:٧٩-٨٢ وسورة الشعراء، الآيات:٣٤-٥١.

١٤٤- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٧٨.

وهذا المفهوم بإيحاء من وقعة إلقاء نمرود سيدنا إبراهيم في النار، وقد جاء ذكرها في كثير من سور قرآنية(١٤٥).

والعشق عند إقبال بخلاف العقل لا يتأنى ولا يتردد، إنه عاطفة صادقة تستنير من نور الإيمان فتدرك بسرعة ما ليس للعقل إلى إدراكه من سبيل(١٤٦).

وفي قصيدة من هذه القصائد الغزلية يقول إقبال:

اے مسلماں ہر گھڑي پيش نظر
آيهء لا يخلف الميعاد ركھ

(ضع يا أيها المسلم أمام عينيك دائما آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾)(١٤٧).

يه لسان العصر كا پيغام هے
إن وعد الله حق ياد ركھ(١٤٨).

(هذه رسالة بلسان العصر، فلا تنس ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾)(١٤٩).

وتحت عنوان "ظريفانه" (الأبيات الفكاهية) يقول إقبال:

حكمت وتدبير سے يه فتنهء آشوب خيز
ٹل نهيں سكتا ﴿وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾
كهل گئے ياجوج اور ماجوج كے لشكر تمام
چشم مسلم ديكھ لے تفسير حرف "ينسلون"(١٥٠)

(إن هذه الفتنة الخطيرة لا يمكن تأخيرها بالحكمة أو الحيلة، ﴿وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾، وإن عساكر يأجوج ومأجوج كلها قد انطلقت، ولتنظر عين المسلم إلى تفسير بيّن لكلمة "ينسلون").

فالبيت الأول يشير إلى الآية: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾(١٥١)

والبيت الثاني يؤمي إلى الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾(١٥٢).

١٤٥- منها: سورة الأنبياء، الآيتان:٦٨-٦٩ وسورة الصافات، الآيتان:٩٧-٩٨.

١٤٦- حسين مجيب المصري، **إقبال والقرآن**، ص ٢٤٣.

١٤٧- سورة آل عمران، الآية: ٩، وسورة الرعد، الآية: ٣١.

١٤٨- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٨٢.

١٤٩- هذا جزء من هذه الآية المباركة: ﴿أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

١٥٠- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٨٩.

١٥١- سورة يونس، الآية: ٥١.

١٥٢- سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

وتحت نفس العنوان يقول إقبال:

حكم حاكم هے ﴿لَيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾

كهائے كيوں مزدور كي محنت كا پهل سرمايه دار(١٥٣)

(قرر الحاكم المطلق أنه ﴿لَيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾، فلِم يأكل الثري المترف ثمرة جهد العامل؟). وفيه إشارة إلى الآية التالية: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾(١٥٤).

نكتفي بهذا القدر من الأمثلة وبهذا الغيض من الفيض والقليل من الكثير. وبالله التوفيق.

نتائج البحث:

أما بعد، فهكذا دأب إقبال في كل دواوينه من الفارسية والأردية، فلا نقلب صفحة أو صفحتين إلا ونراه في بيت من أبياته يرشدنا إلى مدلول قرآني أو جزء من آية قرآنية مستشهداً بها فيها ودافعا للشبهات بالبينات. كان لسانا لدين الله في دنيا العجم، يفسر القرآن بالحكمة، ويصور الإيمان بالشعر.

يمكن لنا أن نقول: إن إقبال كما يركز اهتمامه عند اختيار الكلمات على أن تكون مظهراً للجمال الشعري، فإنه يراعي كذلك وفي نفس الوقت أن لا يستعمل هذه الكلمات ليستقيم بها الوزن فقط، بل يظهر عند إمعان النظر أن جميع هذه الكلمات أيضاً تمثل حقائق شتى من القرآن. وهذه أبرز ميزة من ميزات كلامه(١٥٥).

جعل إقبال شعره وعاءً لمفاهيم قرآنية كثيرة، ولا نجد شاعرا إسلاميا آخر يباريه في هذا عبر القرون الماضية، وخير دليل على ذلك ما قاله الدكتور حسين مجيب المصري عن تعلق إقبال بكتاب الله الخالد:

> "ولا نعرف ولا نكاد، من شعراء العربية والفارسية والتركية من جعل لكتاب الله في شعره مثل تلك المنزلة التي جعلها إقبال له، أو على التحديد، لم ينط أحد به تفكيره وتعبيره في ثبات ودوام، ولا قصر عليه اهتمامه على أنه النبع الأوحد الذي يستقي منه

١٥٣- إقبال، **كليات إقبال الأردية**، ص ٢٩١.

١٥٤- سورة النجم، الآية: ٣٩.

١٥٥- پرويز، **إقبال اور قرآن**، ص ٨.

شعره، والنبراس الذي لا يحمل سواه لهداية من ضلوا السبيل في الدياجى، بعد انقطاعهم عن ركب الهدى وهم ينقلون خُطاهم وراء خير مَنْ هَدى(١٥٦).

إن كلام إقبال بالجملة ليس إلا شرحا لمفاهيم القرآن في ضوء العلوم الجديدة، ولئن قيل في حق المثنوي للشيخ جلال الدين الرومي قبل ثمانية قرون من الزمن إنه "قرآن در زبان بهلوي" (إنه قرآن في اللغة الفارسية) ففي وسعنا أن نبوّئ كلام إقبال نفس المكانة والمنزلة في الألفية الثانية،(١٥٧) وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ولم يكن من أدنى درجة المبالغة حينما قال قائل لما سئل عن محمد إقبال ومكانته بين الشعراء فقال: "إن إقبال شاعر القرآن وقرآن الشاعر"(١٥٨).

****

١٥٦- حسين مجيب المصري، **إقبال والقرآن**، ص ١٥٨.

١٥٧- يوسف حسين خان، **روح إقبال**، مقدمة.

١٥٨- ينسب هذا المقال البديع إلى صديق محمد إقبال المحامي عبد القادر الذي قدم لديوانه: "بانگ درا" (صلصلة الجرس)